

طلاب في ضائقة: نظرة نقدية في برامج عمل الطاقم المهني المساند للمدرسة في التعليم العربي

{توصيات الورقة البحثية المشتركة لمركز دراسات ولجنة متابعة قضايا التعليم العربي، والتي أعدها د. ابراهيم فريد محاجنة}

أساس تلبية حاجيات أفرادها الاقتصادية، الاجتماعية، التربوية، الدفاعية والانتمائية الخ. كما أنّ المؤسسات الأهلية الدينية وغيرها لا تتعاطى بشكل كاف مع ضائقة الطلاب العرب، ذلك أنّ هذه المؤسسات تعاني من تعاطف احتياجات المواطنين العرب، ومن نقص في الموارد.

أما مؤسسات المجتمع المدني فلا تضع موضوع ضائقة الطلاب العرب على رأس سلم أولوياتها. فبالإضافة إلى التقييدات السلطوية على الدعم الخارجي، هناك فتور من قبل مؤسسات كثيرة في المجتمع المدني تجاه التعامل مع القضايا الحياتية اليومية. وفي نفس السياق يلاحظ عدم وجود رغبة/ إرادة لدى المؤسسات الخاصة في التعاطي مع ضائقة الطلاب العرب، حيث تخدم المؤسسات الخاصة فئات سكانية ضيقة في أوقات معينة ضمن آلية عمل خاصة تخدم أجندتها ومصالحها. أما خدمات القطاع الخاص فمشترتة، مؤقتة، ضيقة، محلية وضيئة. أما تخلف المؤسسات الرسمية (التابعة للدولة) عن التعاطي مع ضائقة الطلاب العرب فيعود إلى توفير الحد الأدنى أو ما دونه وحسب من احتياجات الجمهور العربي، بسبب احتكامها لشروط استحقات مزدوجة ليست مبنية على شروط استحقات موضوعية، مثل "الحاجة" "التأمين" أو "المواطنة" بل تعتمد على "المبدأ الجمهوري" (ما يسمى بالزبائنية والفتوية)، الذي يكافئ الشخص بمقدار ما يقدمه لتحقيق أهداف الدولة العليا كما تحددها المجموعة المهيمنة.

الحاجة إلى طواقم مهنية مساندة

يتميّز المجتمع العربي الذي يأتي منه الطلاب العرب إلى المدرسة بأنه مجتمع فتي وأسرته كثيرة الأولاد، يتموضع حسب التدرج الاجتماعي-الاقتصادي المعمول به من قبل دائرة الإحصاء المركزية في العناقد الثلاثة الدنيا. يعاني المجتمع العربي من الفقر المدقع، البطالة المتفشية وتدني الأجور، استمرار الأزمة السكنية الخائقة، استفحال الجريمة وتزايد الشعور بعدم الأمان، تسارع وتيرة وماهية المشاكل الاجتماعية خاصة على ضوء سيورة التمدن وتجلياتها مثل ضعف مؤسسة العائلة الممتدة لصالح العائلة النووية. كل هذه المعطيات تفسّر جزئياً استمرار آفة التسرب من المدارس ونتائج قياس متغيّر "الرفاهية النفسية" للطلاب في المرحلة الإعدادية والثانوية على مركباته الأربع: "الشعور بالسعادة"، "الرغبة في تغيير الحياة"، "مشاكل نفسية"، "الشعور بالوحدة أو الرفض الاجتماعي"، والذي أشار إلى أن وضع الطلاب في المجتمع العربي غير مريح بل ومقلق للغاية منذ العام 1998 (المرّة الأولى التي فحص فيها هذا المتغيّر) وحتى العام 2004 كما بيّنت نتائج الاستطلاع الأخير.

عدم تلبية الاحتياجات الطلاب في ضائقة

المؤسسات والمصادر الطبيعية والرسمية وغير الرسمية غير قادرة على التعاطي مع ضائقة الطلاب العرب، ذلك أنّ العائلة العربية الممتدة فقدت كثيراً من خصائصها كمؤسسة تقوم على



المربي العربي كعنوان للطالب في ضائقة

مع أن منشورات وزارة المعارف تنصّ حرفياً على وجوب تدخل مربّي الصف في حل ضائقة طلاب صفه، فإن النتائج الأولية للأبحاث في هذا الصدد والأمثلة الكثيرة من الحقل تشير إلى أنّ مربّي الصف العربي لا يرى إلى نفسه عنواناً لحل ضائقة طلابه، ولا يعمل كشبكة أمان أولية.

ويعود ذلك لعدم إيمان المربي بأنّ هذه هي وظيفته الرئيسية، بل من اختصاص الطاقم المهني المساند. المعلم مقتنع أنه غير مؤهل مهنيًا لهذه المهمة ويخاف من إحداث أضرار للطلاب عوضاً عن مساعدته، والسبب الأخير يعود إلى أن الطلاب لا يتوجهون إليه بطلب المساعدة.

نقص الملاكات والانحياز الثقافي

يعاني الطاقم المهني المساند كشبكة أمان أخيرة أمام الطلاب العرب من مشكلتين رئيسيتين: الأولى هي النقص الحاد والذي يصل إلى مئات الملاكات في كل تخصصات الطاقم المهني المساند: 250 في الاستشارة التربوية، 300 في ضبط الدوام، 200 في الخدمات النفسية و250 في الاستشارة التربوية و100 في التمرّض. أما بالنسبة للخدمة الاجتماعية فالنقص هو قرابة 200 ملاك من المفترض أن يخدم قسم كبير منها الطلاب في ضائقة وعائلاتهم.

المشكلة الثانية تتعلق بتصادم منهجية تدخل الطاقم المساند مع ثقافة الطالب العربي ومجتمعه، بحيث أن منهجية التدخل المهني للطاقم المساند لا تتناغم مع ثقافة الطالب العربي ومجتمعه من حيث تعريف الضائقة (ماهية الضائقة وتشخيصها)، التعاطي مع الضائقة (ما هي طرق ووسائل التدخل) والنتيجة المرجوة (الحل الأمثل). إن الأدبيات الناجزة في هذا الموضوع والأصوات القادمة من الحقل تؤكد وجوب تغيير بعض منهجيات التدخل للطاقم المساند بحيث تنسجم مع خصوصية المجتمع العربي.

توصيات عينية

1. المساواة التامة: إنتهاج المساواة والتفضيل المصحح في الملاكات لكافة تخصصات الطاقم المهني المساند في المدارس النظامية العربية: مستشارون تربويون، أخصائون نفسيون، ممرضات، ضباط نظام وأخصائون اجتماعيون.
2. مشاركة في القرارات والسياسات: الإشراك الجوهرى الكامل للمهنيين العرب في مواقع اتخاذ القرارات ورسم السياسات المهنية الخاصة بعمل الطاقم المهني المساند. ليس على مستوى تنفيذ السياسات، بل مشاركة خبراء عرب في تصميمها والتأثير عليها لتتناغم أكثر مع خصوصية المجتمع

العربي.

3. تعريب المستندات: على الوزارات المعينة المختلفة (التعليم، الصحة، الرفاه والخدمات الاجتماعية) العمل على ترجمة القوانين، أنظمة العمل، اللوائح الإدارية، التعليمات والإرشادات المهنية وكل المستندات الرسمية إلى اللغة العربية، بما فيها المنتديات الوزارية ذات الشأن.
4. هيكلية النماذج العلاجية: الاستعانة بخبراء عرب لإعادة هيكلية كافة النماذج العلاجية المعمول بها عند الطاقم المهني المساند بما يتناسب وخصوصية الطالب العربي، والتوقف عن تبني هذه النماذج من الثقافة الغربية دون محاولة جادة لمواءمتها لشريحة الطلاب العرب وخصوصيتهم.
5. إجراء استكمالات: البدء بإجراء الاستكمالات المهنية للطاقم المساند باللغة العربية بحيث تعالج المواد المطروحة في هذه الاستكمالات قضايا الطالب العربي الملحة.
6. ملاءمة للخصوصية: إعداد كوادر مهنية للطاقم المساند بما يتلاءم وخصوصية المجتمع العربي، انطلاقاً من حق الكوادر المهنية العربية في التأهيل المسبق في مؤسسات التعليم العالي ضمن برامج خاصة للعرب مع التركيز على اللغة العربية والخصوصية الثقافية.
7. بناء مؤسسات: فحص إمكانية بناء مؤسسات عربية لإعداد الطواقم المهنية المساندة للمجتمع العربي.